

نشار الأخبار عن آل نافع

الأنصار

وفيه تعريف بقبيلة الأنصار

عامتها وبعض أسهم

المعاصرة

جمع وإعداد /

المرتضى بن محمد المختار بن أحمد الأنصاري

(مرتضى الأنصاري)

إهداء

هذه النسخة الأخيرة من مسودات هذا النثار لعام ١٤٤٥ هـ ، وهي ناسخة ومأخوذة لما سبقها من النسخ والمسودات، وهي مهداة للمتابعين والمهتمين به من البحاثة والقراء، الذين مالوا للتكامل والتعاون، والمناقشة والمدارسة الهادفة والبناءة، ويسعهم الفضل مع غيرهم، ولا تشعرهم جهود الآخرين بعقدة النقص، ولديهم من الشجاعة والمروءة ما يحملهم على الاعتراف بها، وعلى شرف الخصومة، واختاروا نهج الأنبياء في الاعتراف بمزايا الآخرين (وأخي هارون هو أفصح مني) ، ولم يجعلوا من ذواتهم معيارا أو حدا للصواب ، تزكية للنفس الأمانة بالسوء ، ولم يسلكوا مسلك الشيطان في الجحود وإنكار مزايا الآخرين (قال أنا خير منه).

مرتضى الأنصاري

١٤٤٥/٤/١٦ هـ

توطئة

رودتني فكرة تدوين هذا النثار من أخبار آل نافع الأنصار وبالذات أسرتي منهم أثناء الدراسة الثانوية بين الأعوام ١٤٠٣ - ١٤٠٦ هـ عندما بدأت أهتم وأتفاعل كغيري مع الأسئلة التي تواجهنا وتلاحقنا بشكل يومي من كل طبقات المجتمع الخليجي الذي نعيش فيه من قبيل : (كيف تقول إنك من الأنصار وتحمل جنسية دولة أفريقية ؟ وهل في أفريقيا عرب؟ وهل بقي الأنصار اليوم ؟ أليسوا قد انقرضوا ؟!) ومن هنا بدأت أفكر في الإجابات على مثل تلك الأسئلة وبناء عليه كان في ذهني أنني أكتب لقارئ آخر من غير الأنصار لسبب بسيط ، وهو أنهم يعرفون أنفسهم مثلي وأحسن مني ؛ ولكن عندما وزعت أول مسودة من هذا النثار على بعض شبابنا من المتابعين والمهتمين بهذا الموضوع في عام ١٤١٢ هـ ، وجدت نفسي أمام وضع مختلف ، حيث انصب اهتمام كل مطلع منهم ، على النظر فيما يخصه من هذا البحث ، وتفقد ما قصرت فيه نحوه أو نحو جده أو أبيه .. الخ فصرت وكأني متعهد ومقاول للكتابة بالنيابة عنهم ؟! وهذا مما جعلني أترث كثيرا قبل طباعة هذا البحث ونشره ، مكتفيا بنشره لقراء الشبكة العنكبوتية ، وتوزيعه مطبوعا على من يلح من الأنصار ومعارفهم ممن نمت إلى علمه توفره ؛ لكونهم جميعا يتعرضون لتلك الأسئلة فوجدوا فيه ما يغنيهم عن الجواب مكتفين بتزويد السائل بنسخة منه جوابا على سؤال السائل ، واكتفيت بالتعامل مع هاتين الفئتين فحصل من ذلك خير كثير وإمام كبير وتعريف واسع بأسرتنا من الأنصار ؛ بل تجاوز الهدف إلى تعريف وتعريف بأسر أخرى من الأنصار في العالم ، وقدحت به أفكار كثير من شبابنا فبدأوا يكملون ويتكاملون معه وتوالت الأبحاث والكتابات ، فألح علي كثير منهم في طباعته ونشره بعد التجاوب مع جميع الملحوظات التي استلمتها وإدراج معظم المعلومات التي وصلتني وتعديل وتنقيح بعض الملحوظات التي أبدأها أصحابها ، ومع ذلك كله أؤكد على استمرار البحث والمدارسة والمناقشة

الهادفة، وعدم توقفه وأني ملتزم بتصحيح وتعديل وإضافة ما يجب في أي وقت في الطبقات القادمة إن شاء الله مع رجائي من كل باحث ومهتم ومتابع لهذا الموضوع أن يلاحظ ما يلي :

١- إن هذا البحث عبارة عن مقدمة وبداية لأعمال وأبحاث يفترض أن تتوالى تباعا لتتكامل معه والبداية دائما يكتنفها النقص والتقصير والصعوبات، والمصلحة العامة لا تتحقق بمجرد احترام النقد وحصر العيوب، مع العجز عن تصحيحها، واستدراكها، فأغلبنا مع الأسف يعشق الأول، ويعجز عن الثاني، بيد أن المصلحة إنما تتحقق بالثاني، دون التقليل من أهمية النقد الهادف والبناء .

٢- أحسب أنني بدأت وأوقدت شمعة بدلا من لعن الظلام وساهمت بهذا الجهد المتواضع وأقدره بنسبة ١% ولو أن كل مهتم قدم مثله لاقتربنا من نسبة ٥٠% واتجهنا نحو تحقيق نسبة مقبولة بعد ذلك مطبقين مبدأ (سنشد عضدك بأخيك) لصعوبة البناء وحاجته إلى مهندسين وعمال وفنيين مهرة ،بينما الهدم يكفيه عامل واحد بلا أي مؤهل ، وبناء على ما سبق: لا أقبل أن يلومني شخص مؤهل أحسن مني للكتابة عما في نفسه ومكونه أو ما هو من اختصاصه نيابة عنه ...!! وقد بدأت تبشير الخير بتوالي الكتابات الهادفة لتتكامل مع هذا الجهد المتواضع .

٣- غالب جهدي في هذا البحث: جمع المعلومات المتناثرة من مصادر متعددة ، وضمها إلى بعضها، ولم يسلمني أي باحث أو متابع أو مهتم لهذا الشأن أية معلومة صحيحة إلا وأخذت بها وأسندتها إلى قائلها، وبناء على ما سبق فقد يحدث الإفاضة في محور، ونقص أو تقصير في محور آخر، وقد يحظى شخص باهتمام وآخر بإهمال.. كل ذلك إنما يعود لمعيار واحد فقط، وهو وفرة المعلومة من

نقصها، لشح المراجع، خاصة الشفوية للبعد الجغرافي، وتعذر السفر مرات لجمع ما يلزم منها.

٤- العقول الكبيرة تناقش في المبادئ والعقول المتوسطة تناقش في الأشياء والحواشي والقشور والعقول الصغيرة تناقش في الأشخاص والله سبحانه وتعالى يقول : (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) الأعراف ٨٥ والعدل والإنصاف يقتضي من المسلم النظر إلى الجزء المليء من الكأس مع النظر إلى الجزء الفارغ منه وذكر النسب الحقيقية لهما معا .

٥- كما أشرت إليه في هذه التوطئة كتبت في الأساس لغيرنا لأعرفهم بنا لأننا نشكل لهم لغزا محيرا لسحنتنا الخليجية أو اليمنية وجنسية بعضنا المالية أو النيجيرية ولم أكتب لأسرتنا من الأنصار لأنهم يعرفون أنفسهم أحسن مني .

٦- الأقرب للصواب والأدعى للقبول والأبعد عن التقصير أن يكتب كل مهتم وباحث عما يختص به أو ما لا يعلمه غيره، ولا يليق بأحد أن يفترض في غيره الكتابة نيابة عنه فيما هو مختص به دونه .

٧- امتدت فترة كتابة مسودات هذا الجهد المتواضع ما بين ١٤١٢هـ إلى

١٤٤٥هـ، أي فترة تربو على ثلاثين سنة، وحتما تخللها الكثير من

الأحداث، والوفيات، والتحويلات، وطراً الكثير من الأخبار والأحداث، وقد يفوت علي الترحم أو الإشارة إلى بعض من تناولتهم الكتابة وهم أحياء في بداية البحث، ثم صاروا من الأموات في نهايته، أو الإشارة إلى من كانوا في بلد في بدايته، ثم انتقلوا إلى بلد آخر في نهايته.

١٦/٤/١٤٤٥هـ

المقدمة

الحمد لله القائل : { والسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } (١) والقائل : { وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوَقِّعْ نَفْسَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمَفْلُحُونَ } (٢) ،

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين القائل :

(آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار) (٣) صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين وبعد : فهذه جملة من المعلومات والأخبار المتناثرة دعت الضرورة إلى تدوينها وجمعها لبيان أصول هذه القبيلة وبقاياها خصوصاً في شمال إفريقيا وغربها بعد نزوحهم من أرض الأندلس ، وذكر بعض علمائهم وشعرائهم ومآثرهم ، وما أتت هذه السطور إلا بعد ما رأيناه من ادعاءات مضللة بانقراض هذه القبيلة العظيمة التي سماها الله من فوق سبع سماواته بالأنصار ، ولبيان حقهم على الناس ، وحق الناس عليهم ، ورد بعض الشبه التي أثرت حولهم ، ومنها أن هذه القبيلة قد انقرضت ، أو لم يخرج أفراد منها إلى إفريقيا وكأن العلامة النحوي : ابن هشام الإفريقي والعلامة اللغوي : ابن منظور الإفريقي وشيخ الإسلام أبي زكريا والإمام القرطبي و ... و... إلخ كأن هؤلاء الأعلام ليسوا شهود عيان على خروج الأنصار من المدينة المنورة واستقرارهم في البلدان التي فتحها المسلمون من عربهم وعجمهم ، وأنصارهم ومهاجريهم ، ولا يدركون أن إبراهيم بن

(١) سورة التوبة آية ١٠٠ .

(٢) سورة الحشر آية ٩ .

(٣) رواه البخاري في كتاب فضائل الأنصار .

محمد الأنصاري الساحلي مدفون في تمبكتو (٤) في بلاد السودان، وأنه أول من أدخل الفن المعماري الأندلسي إلى تلك البلاد ، ألا يعلم هؤلاء أن المدينة المنورة والعالم العربي - الطبقة المثقفة - شاهدان على وجود رموز وأعلام من الأنصار رجعوا إلى المدينة قبل توحيد المملكة العربية السعودية على يد جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - رحمه الله - وهم من علماء المدينة المشاهير أمثال العلامة المحدث سماحة الشيخ حماد الأنصاري والعلامة محمد الطيب الأنصاري والأديب الكبير الأستاذ عبد القدوس الأنصاري من كبار رواد الأدب والصحافة في المملكة العربية السعودية ، ومجلة المنهل الرائدة دليل على أثره على النهضة الثقافية والأدبية في المملكة العربية السعودية والعالم العربي .

وكذلك قبيلة الأنصار في الحجاز: هدى الشام والكامل ووادي فاطمة ومكة وجدة والمدينة والمنطقة الشرقية: الدمام والجبيل والأحساء، والرياض، وأنصار البقرية في مصر الكنانة وأعلامهم ورموزهم اللامعين مَنْ ، مِنْ مثقفي العرب والعجم لا يعرفهم؟ أو بعد ذلك يزعم بعض من لا يعرف ولا يتحقق، انقراض الأنصار؟

وقد يتساءل محب منصف سؤالاً مشروعاً من قبيل : ماذا تستفيدون من الاهتمام بالنسب في زمن الدولة الوطنية التي أنهت دور القبيلة، وحلت محلها ، وصارت هي التي تحتوي الجميع؟

وما الداعي للتفرغ وإجهاد النفس ، وقضاء الوقت الطويل في البحث والمتابعة والاهتمام وجمع المعلومات، والتدوين ومقابلة العارفين والمهتمين من الرواة، في زمن أصبح فيه العالم قرية كونية واحدة وتراجع فيه دور الأنساب والقبائل لصالح تنامي الاهتمام بالدخول في التكتلات والاتحادات الإقليمية والدولية ، وتنامي دور العلم

(4) توفي ٧٣٩ هـ وقيل ٧٤٤ هـ انظر خبره في الإحاطة (١/٣٢٩-٣٤١) ، ومشاهير الشعراء والكتاب في المشرق والأندلس والمغرب لابن الأحمر الأنصاري ص ١٣١ ، ومملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين ص ٩١ ، ووصف إفريقيا للوزان (١٦٥/٢) .

والمعرفة والتقنية والتكنولوجيا والأعمال والحرف المهنية والأسواق العالمية المفتوحة.. إلخ؟؟

وإضافة إلى الأسباب السابقة فإني أجمل الدواعي إلى هذا البحث في النقاط التالية :

١- أن يكون درسا من دروس علم الأنساب، للخلف، حيث جعل الله تعارف الناس بأنسابهم غرضا له تعالى في خلقه إيانا شعوبا وقبائل ، وإن كان الله تعالى حكم بأن الأكرم هو الأتقى وإن كان عبدا حبشيا وأن الأشقى هو الكافر وإن كان ابن نبي .

٢- أن بعض بقايا هذه القبيلة اليوم، قد يظن أنه ليس لها من البقايا في هذا الزمان غير

عشيرته لطول الانقطاع والشتات .

٣- رد بعض المفاهيم الخاطئة حول الإنتساب إلى الأنصار .

٤- أن هذا البحث كان بتوجيه كريم من بعض العلماء المخلصين الذين أشاروا بأن من واجب شباب الأنصار دراسة تاريخ بقايا الأنصار وتراثهم وإظهاره للناس ليعرف الأنصار دورهم وما يجب عليهم للمحافظة على هذا النسب الشريف وصيانتة ، من كل ما قد يقدح فيه ، ولتذكيرهم بالدور المنتظر منهم؛ ليكونوا حقا من أولئك الرعيل الأول من الأنصار، و ليعرف غيرهم كذلك حق هذه السلالة عليه من معاملة بالحسنى و حبهم في الله والإحسان إليهم والقبول من محسنهم والتجاوز عن مسيئهم وعدم الإساءة إليهم والتقرب إلى الله بذلك.

٥- مهما قيل عن انتهاء دور القبيلة، فإنها تبقى، واحة كبيرة، تزرع في أبنائها قيم النخوة والشهامة والمروءة والكرم والفضيلة وإشاعة روح التراحم والتعاون والتكافل

الاجتماعي بين أفرادها، كما هي صيغة للتوافق والتعايش والتواصل مع من حولها في إطار وعاء الوطن العام والكبير.

٦- أبرز هذه الأسباب ما درج عليه بعض الكتاب المعاصرين - وهم معذورون في ذلك - من دمج بقايا بني الأحمر النازلين في الصحراء الجزائرية الغربية بعد سقوط غرناطة في القرن التاسع الهجري ضمن قبائل الطوارق؛ لأسباب من أهمها : الجوار، والمصاهرة، والتحالف، وإجادتهم للغة الطوارق التي هي لغة غالبية سكان الصحراء عربهم وعجمهم، وليس ذلك شيئاً خاص بالأنصار فقط ؛ بل يجيدها البرابيش وبني كنتة وبعض الحسانيين، بل يجيدها بعض جيرانهم من القبائل السمراء مثل السونغاوي والفلولاني؛ ومثلهم في ذلك مثل، بقية المورسكيين، الذين اندمجوا وتصاهروا حتى مع السودان، وتغيرت سحنة بعض أجيالهم، مثل (الرماة) الذين تحول لسانهم من العربية إلى الإفريقية، وهم بقايا المورسكيين، الذين قدموا للمنطقة ضمن الجيش المغربي السعدي في صحراء أزواد وعاصمتها تمبكتو، بعد انتهاء الحكم المغربي في المنطقة، ومن هنا أشكل على بعضهم، ومن هؤلاء على سبيل المثال فضيلة الشيخ المؤرخ الإسلامي الكبير المعاصر محمود شاكر في كتيب له عن جمهورية مالي، والخلط ليس منه؛ ولكن من مصادر معلوماته، ومنهم الدكتور محمد سعيد القشاط في كتابه التوارق عرب الصحراء الكبرى، وإن اختلف في تحقيقه من بعض كبار سن الأنصار الذين ذكروا له أنهم هاجروا من المدينة أيام فتنة علي ومعاوية اعتزالا للفتنة، ثم قال، وأكثر أفراد هذه القبيلة مثقف باللغة العربية والدين والقرآن والأدب ويتكلمون اللغة العربية الفصحى إلى جانب التارقية، وغير ذلك مما نشر في الصحف والمجلات ضمن معانات العرب والطوارق في جمهورية مالي خلال الأعوام من ١٩٩٠ - ١٩٩٥ م .

وقديما قال شاعر الأنصار :

لسنا طوارق بل كنا نجاورهم مهاجرين وكانوا سلوة الجار

مشيرا للحقيقة، وهي أن الأنصار، إنما نزلوا بلاد الطوارق ضمن رحلتهم الطويلة، وأن هذا الاختيار لمحطة هذه المرحلة من الرحلة، كان لما يتسم به شعب الطوارق من النبل والشهامة والمروءة والشيم والقيم العظيمة، والإباء والشمم، والصفات النادرة، وحسن الجوار، وتقديرهم الكبير وإجلالهم وتعظيمهم للأسر ذات التاريخ العريق والمشرف في نصره الإسلام، كقريش وآل البيت والأنصار، وحبهم الجم لأبناء بناتهم وأخواتهم وأصهارهم، وإيثارهم كثيرا عن أبناء أصلابهم، لكون مجتمع الطوارق مجتمع أمومي، يتسم بالنبل والشهامة والشرف والسؤدد، ويقدم مكانة المرأة وأبنائها على الرجل وأبنائه، وللمرأة السيادة والريادة المطلقة في هذا المجتمع، نبلا، ونخوة وشهامة وأنفة وإباء، وبحكم معرفتي لشعب الطوارق، وتاريخه، وجذوره، وعاداته، أدرك يقينا، أنهم في الجملة من الجنس العربي العريق، وهو أيضا إجماع علماء الأنساب والمؤرخين، ويمكن تقسيمهم إلى أصليين:

١- من صنهاجة ولمتون ومسوفة وجدالة وزناتة.. إلخ من الأصول الحميرية.

٢- من أحفاد الفاتحين الأوائل لشمال أفريقيا، أو من الهجرة الهلالية.

وتغير لسانهم، لا يؤثر في جنسهم وأصلهم وسحتهم الواضحة والصريحة، واللهجة التي يتواصلون بها يترجح عندي أنها إحدى اللهجات العربية العتيقة، لكثرة المشتركات فيها، من المفردات والمصطلحات العربية الفصيحة، ولا أسوق هذا الرأي لأكسبهم به، تفضيلا وتمييزا ومجدا وأصلا بالانتماء إلى الجنس العربي؛ كلا؛ وإنما أثبت هذا القول من باب: تسمية الأشياء بأسمائها الحقيقية، كقولنا للخشب، خشب، وللحديد، حديد.. فهم من الشعوب الغنية نبلا وسموا وسؤددا وكرما وشهامة وإباء وأنفة، ولا يرتفعون بالانتساب إلى العرب؛ وإنما العرب ترتفع بهم، وبأمثالهم.

٧- إحياء ما اندثر وتناثر من تاريخ أسرة عربية عريقة في بلاد المهجر وتراثها المغمور والمنسي إثراء وإغناء للمكتبة العربية والإسلامية بجزء مظمور ومهمل من تراثها وتاريخها في هذا الجزء الغالي من العالم العربي والإسلامي في شمال أفريقيا وغربها وعاصمتها التاريخية والتراثية جوهرة الصحراء الكبرى مدينة تمبكتو العربية والمغربية الأصيلة، عاصمة العلم والعلماء، وملتقى القوافل قديما بين الشرق والغرب والشمال والجنوب .

٨- تصحيح بعض الشبهات والأباطيل والأخطاء التي ألصقت بالأنصار من بني الأحمر ، وتحملهم وزر سقوط الأندلس لكون دولة بني الأحمر من آخر دول الطوائف سقوطا، وبعد استجادهم بإخوانهم شرقا وغربا، وبعد محاصرتهم وصمودهم في وجه الأعداء زمنا طويلا ، وتلك الفرية التي ألصقت بهم كان لها من الوقع والأثر الجسيم ، ما جعل بعض أبنائهم يحسون بالخزي والعار ، فتنكروا لنسبهم ، خوفا من أن تلحقهم معرة سقوط الأندلس ، وكان الأولى بهم دحض تلك الفرية التي أشيعت وانتشرت ضمن السردية الإسبانية المغرضة، وتلقفتها منهم بعض الكتابات التاريخية الحديثة، التي تعتمد على النقل الأعمى من المصادر الإسبانية المعادية، دون تمحيص للمنقول، وعمن نقل عنه، والغرض السياسي منه...؟!، فالمنتصر من عاداته، كتابة سرديته للمفاخرة والمباهات، لإظهار تميزه وقوته، والانتقاص من خصمه، وإظهاره بكل المظاهر التي توهن من شأنه وتحقره... وكان مجرم الحرب، والإبادة الجماعية ومحاكم التفتيش، فيرناندو، محتاجا جدا ، للعب هذا الدور، وتحبير هذه الرواية، ليقنع بها حبيبه: إزيلا ؛ لتدرك، كم هي محظوظة بمثله..!

ولو أخذنا بهذه الرواية، وسردية العدو المغرض؛ لحكمنا على كل من ينتمي اليوم للأمويين والعباسيين والأيوبيين والمرابطين والموحدين وسائر ملوك طوائف بلاد

الأندلس من غير الأنصار وغيرهم ..بالخزي والعار قبل الأنصار لسقوط دولهم قبل دولة الأنصار في غرناطة ! .

وقد افتتحته بهذه المقدمة، وبيان مشروعيتها تعلم النسب، ومناقشة تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة عن الأنصار عامة وعن آخر حكام غرناطة بصفة خاصة، وأشارت إلى مناقب الأنصار، ثم كتبت نبذة تاريخية عن الأنصار قديما وحديثا منذ خروج جدهم من اليمن بعد انهيار سد مأرب إلى استقرار الأوس والخزرج في المدينة المنورة وما تلا ذلك من هداية الله لهم بالإسلام ونصرة نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهجرته إليهم ومواقفهم المشرفة معه وخروجهم إلى الآفاق ضمن الفتوحات الإسلامية جهادا في سبيل الله أو فرارا من الفتنة بعد مجزرة الحرة المأساوية واستقرارهم في البلدان التي فتحوها وخاصة بالأندلس الذي كانت لهم آخر دولة من دول الطوائف فيه، وهي دولة بني الأحمر، ثم عرجت على بقاياهم في العالم اليوم وأماكن تواجدهم، وفهرس لمعجم أسر قبيلة الأنصار في العالم وهو بداية لبحث مخطوط سينشر لاحقا بعد إتمامه إن شاء الله، ثم أشرت إلى حكم ابن أخت القوم، ومن انتسب إلى الأنصار بغير النسب كالولاء والمصاهرة والجوار والحلف، ثم خصصت الحديث بعد ذلك عن آل قطب بن محمد بن نافع الأنصاري التمبكتيين من بقايا بني الأحمر، المنتقلين من غرناطة بعد سقوطها إلى فاس ثم منها إلى الصحراء الكبرى متحدثا عن نسبهم ومناقشته، وملحوظات في أسمائهم وألقابهم، وذكرت حدودهم وآبارهم، وألقيت أضواء على أقسامهم وأبنائهم وأماكن تواجدهم اليوم في العالم العربي والإسلامي، وأشارت إلى أسباب ضعفهم وشتاتهم، وبينت معاناتهم قديما وحديثا، ثم ألقيت أضواء على أسرة أهل السوق من الأنصار في شمال أفريقيا وغربها، وخصصت بعد ذلك مبحثا لتراجم بعض الأعلام البارزين من الأسرتين: آل نافع الأنصاري، وأهل السوق، وترجمت من خلاله لثلاثين علما من أعلامهم، ثم أوردت ما قيل في معاناتهم وسيرتهم من شعر الشيخ الشاعر الكبير أحمد بن عبد الله

الأنصاري -رحمه الله-، وأشدت بموقف من مواقف وفائهم لحكام المملكة العربية السعودية، وما جاء في مناسبة ذلك الموقف من شعر، ثم ختمته بالفهارس اللازمة وصور بعض المخطوطات والخرائط التوضيحية، وأنبه هنا إلى أنني اخترت في تحرير هذا النثر لغة عصرية سهلة يفهمها المعاصرون ومن سيأتي بعدهم - بإذن الله - وتجنبت فيه رص الكلمات من معاجم اللغة، وتقليد أسلوب الحريري في مقاماته، واستعارة عباراته، وقصص ألف ليلة وليلة.. الخ، ثم شرحها في الهامش! لأنني كتبتة للأحياء، وليس للأموات.

وأعوذ بالله أن أكتب من زاوية القومية أو العنصرية العرقية، فسياج الإسلام، يجمعنا مع جميع المسلمين، وأخوة الدين، وأوثق عرى الإيمان، فالأنصار خير من يدرك أن العناية بالأنساب، يصبح اهتماماً مكروهاً ومذموماً ومخالفاً لتعاليم الدين والقيم الإنسانية النبيلة حين تترجم إلى ظلم الآخرين والتعالي عليهم واحتقارهم والضييق بوجودهم وحرمانهم من حقوقهم، ومعرفة الأنساب ليس مسوغاً لظهور العنصرية والتنازب بالألقاب، فهذه خصال مذمومة سببها الجهل ونقص الإدراك وعدم معرفة القيم والمبادئ والمعايير التي يقاس بها التفاضل بين الناس، وقد جاء الإسلام، وكل الأديان السماوية قبله، لنبذ العنصرية والكراهية والتعالي والتفاخر بالانتماءات القبلية والجهوية، بل جعل معيار التفاضل وأسباب الرفعة بالتقوى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)؛ ثم بالقيم الثابتة، والمبنية على الإيمان بالخالق والامتثال لأوامره والتمسك بمقاصد شرعه التي تنظم العلاقات بين خلقه.

فتلك الأغراض والمقاصد المذمومة للعناية بالأنساب، والمنافية لتعاليم ديننا السمحاء، ليست من شيمنا؛ ولكنه إيضاح لحق أهدر، وإزهاق لباطل أعلن، وأسأل الله العلي القدير أن يجعل هذه المحاولة خالصة لوجهه الكريم، ولا ريب أنه يشوبها الكثير من النقص والتقصير، فما كان فيها من صواب فمن الله وتوفيقه، وما كان فيها من

خطأ غير متعمد فمن نفسي القاصرة والأمانة بالسوء والشيطان ومن نقصي وتصيري
،وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

مرتضى الأنصاري

الرياض ١٤١٩/٢/١٩ هـ

تنويه: (البادئ أظلم)!!

قال تعالى: (لا يُجِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيْعًا عَلِيْمًا) سورة النساء (١٤٨)، وقال تعالى: (فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) سورة البقرة (١٩٤)، وفي سنن الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا تقاضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأغلظ له، فهم به أصحابه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعوه فإن لصاحب الحق مقالا ..)

أحد أكابر مجرميها، من ذوي الرأي الأحادي، والإقصائي، ممن زور ودلس، عن تاريخ آل نافع باسم (بني إنفا)، مثله مثل: إمام وخطيب جمعة خطب في الناس خطبة عصماء في العفة والأمانة والنزاهة والصدق وصلة الرحم، ثم قرأ في الركعة الأولى: الآيات من ١-١١ من سورة المؤمنين، مكررا منها من ٥-٧ مستعبرا للبكاء..! ثم قرأ في الركعة الثانية: الآيات الأولى من سورة الصف، مكررا منها: ٢-٣ ومستعبرا للبكاء أيضا، ثم خرج من الجامع مباشرة متوجها لوكر الدعارة - كرم الله أعينكم وأسماعكم - فمارس الفاحشة - أجلكم الله - ثم خرج منه، حامدا لله ومثنيا عليه بما هو أهله، وقد أشهده على أنه قد عفا عن كل من ظلمه، ولم يعرف قدره، أو انتقص من قدره، ومقامه الأسمى والمعظم..!

كَمُطْعِمَةِ الْآيَاتِ مِنْ كَدِّ فَرْجِهَا * * * * * لِكِ الْوَيْلِ لَا تَزْنِي وَلَا تَتَّصِدَّقِي

مثل هذا الشخص - نسأل الله العفو والعافية - بين أمرين لا ثالث لهما:

إما أنه لا يؤمن بيوم القيامة، والوقوف بين يدي الله، وقد أمن مكر الله، وإما أنه شخص مريض نفسيا، ولديه مرض انفصام في الشخصية..!

فهذا النثار المتواضع عن أخبار بقايا الأنصار في صحراء تمبكتو هو أولى المحاولات على الإطلاق للتعريف بهم خاصة وبالأنصار عامة، وقد نشرت مسودته الأولى بين خاصة الخاصة من أسرتنا للاطلاع وتلقي توجيهاتهم وملحوظاتهم عليه عام ١٤١٢ هـ ثم انتشر خبره وتلقفه سائر المهتمين والمتابعين من مثقفي الأسرة وانتشر بعد ذلك في كل البلاد التي يوجدون فيها؛ بل قام بعضهم بنشره خارج نطاق الأسرة لتحقيق بغيته فيه بالتعريف بالأسرة ونسبها وتاريخها ورجالها، وصارت له أصداء واسعة في الشرق والغرب بعد نشر فصوله في الانترنت فور انطلاق خدمة الانترنت في المملكة العربية السعودية ، فدرج من كتب بعد ذلك من كتاب الأسرة وأدبائها ممن تسامت نفوسهم عن غمط الناس ، وتزينت عقولهم بالأداب الشرعية والإنسانية، ولم يلبسوا ثوب الزور والبهتان بتقمص أدوار غيرهم والاعتداء على حقوق الملكية العلمية والفكرية ، ولم يخلوا بواجب الأمانة العلمية، ولم يحوجهم الله إلى التسلق على أكتاف غيرهم أو محاولة إسقاط خصومهم بتشويه رأيهم أو قمعهم، ولم يسعوا لأن يحمدا بما لم يفعلوا..درجت هذه الفئة الشريفة،والنبيلة من كتابنا على الاعتراف بأسبقية هذا النثار في بابه وأشادوا بما جاء فيه من معلومات مهمة في التعريف بأسرة آل نافع الأنصارية فجزاهم الله خيرا على سلوك مسلك الأسوياء ومنهج التكامل والتعاون والنصرة والتأييد والمدارسة والمناقشة، وعدم التناقض مع غيرهم من البناء الذين يحيون ما اندثر وتناثر من تاريخ أسرتنا وتراثها المغمور والمنسي إثراء وإغناء للمكتبة العربية والإسلامية بجزء مظمور ومهمل من تراثها وتاريخها في هذا الجزء الغالي من العالم العربي والإسلامي في شمال أفريقيا وعاصمتها التاريخية والتراثية جوهرة الصحراء الكبرى مدينة تمبكتو العربية والمغربية الأصيلة ، ثم رأيت بعض المتأخرين ممن كتب عن تاريخ هذه الأسرة وقد أعمته نار الغيرة والمنافسة فحاول بشكل بانس تشويه الرأي وقمع المخالف وإقصائه بشكل مثير للشفقة والسخرية والدهشة، أساء به إلى نفسه قبل منافسيه ،فتكر لمن سبقه ولم

يعرف الفضل لذويه ؛ بل عمد لما هو أشنع وأقبح وهو عمل مسترقي السمع .. ذلك أنه في بدايات عزمي على التدوين والجمع والكتابة للتعريف بأسرتنا - للأسباب التي شرحتها في المقدمة - عام ١٤٠٦ هـ عرضت عليه الأمر وطلبت مشورته لمكانته مني وقتها ولا يزال ، فأيدني وشجعني وزودني برؤوس أقلام واتفق عن محورين فقط ، وحصريا ، وليس بعدهما حرف واحد منه :

- ١- مسودة لشجرة نسب أبناء أبين بن الحاج عبد الله بن قطب .
- ٢- كليمات متقطعة ورؤوس أقلام دونتها من كلام شفوي سمعته منه في تلك الجلسة عن أربعة أعلام من أعلام هذه الأسرة المترجم لهم في هذا البحث ولم يكن في شيء مما كتبته وضمنته بحثي هذا حرفا واحدا مقتبسا أو مضمنا أو منقولا أو مستفادا أو مستتبطا أو مفهوما منه غير ما ذكرته في الفقرتين أعلاه ، وكنت في أولى مسودات هذا الجهد المتواضع - وهي موجودة - قد عزوت إليه ذلك ، قبل أن يطلب مني بصرامة عدم الإشارة إليه لا تصريحاً ولا تلميحاً ، ومع ذلك لم يرعوي عن البهتان والافتراء ولم ينزجر عن الفجور في الخصومة وشهوة الانتقاص والانتقام ومحاولة تشويه الرأي وإقصاء المخالف وتعميم الرأي الأحادي ، وقد كنت أكله إلى إيمانه وصلاته ، فأحسنت به الظن وراعت فيه كافة الحقوق المعبرة والواجبة له علي عقلا وشرعا وإنسانيا وأديبا كأخ وصديق ونديم وزميل ، فأصفيته بنسخة من مسودة بحثي هذا مضمنا نسبة تلك الكليمات إليه ، ومتوج بإهداء خاص ضمنته مشاعر صادقة ، وتبجيلا وتنازلا عن حقوقي اعترافا له بالفضل ، وما أسداه إلي من توجيه وما زودني به شفويا من نتف ورؤوس أقلام حول تراجم الأعلام الأربعة ، وقمت بذلك ، اتكاء على قواعد سلوكية مقرررة إضافة إلى أنني قد وكلته إلى وازعه الإيماني وصلاته وحسن الظن به ؛ بأن يكون ذلك مني نحوه أدعى وأحرى به أن يعرف حقي .. إذ لم أتصور ولم أتخيل أنه من أرباب جنون العظمة الذين يقبلون الحقائق فيصدقون أنفسهم ، وتخييلاتهم المريضة ! وكان العرف المقرر عند سائر العقلاء وأهل الديانة

والمروءة والكياسة والإيمان، أنك إذا آثرت أخاك بمالك وملكك وحقك الثابت وتنازلت له عن شيء منه - يعلم قبل غيره ألا حظ له فيه- بمحض إرادتك تأليفا لقلبه وإرضاء لنفسه وإشباعا لغروره وإطفاء لشعلة الحسد ونار المنافسة، فإن ذلك مدعاة لطمأننته وسكون قلبه وبعده عن قبوله أو تقمصه واستغلاله أو تزويره واهتباله أو اقتناصه وادعائه؛ بل يخجل ولا يقبل على نفسه ما يعلم براءته منه، و كانت المفاجأة الأولى عندما طلب مني بكل حزم وجزم مكشرا عن وجه جديد وخلق غير معهود أن أحذف اسمه من البحث كله، وألا يأتي له ذكر من خلاله بتاتا! (١) فليبت طلبه ودققت تلك الكليبات من مصادر أخرى متعددة وتحققت منها بأكثر من طريق.. ثم كانت المفاجأة الثانية عندما اكتشفت أنني استخدمت في عبارة ذلك الإهداء أسلوبا أخلاقيا تربويا لا يناسب علميا من يتسم بجنون العظمة؛ عندما استخدم أسلوب رمتي بدائها وانسلت وتحاشى الإقرار بالسبق والفضل لأهله ودعاه كبرياؤه المزيف وغروره المزور إلى ادعاء ما ليس له والفجور في الخصومة والتمحور حول ذاته وأنانيته مخترما دواعي المروءة والوفاء وحق المودة والإخاء والأمانة العلمية والفكرية باستغلاله ذلك الإهداء المتوج بعبارات لا يستحقها ولا تجدر بمثله فصدق أنه صاحب الملك والإرث لفرط حمقه وتعاضم جراته على الله فلا حول ولا قوة إلا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل، وليس جوده وادعائه ما دعاني إلى هذا التنبيه والتوضيح؛ فلو لزم الصمت، ولم يستخدم أسلوب رمتي بدائها وانسلت ولم يستغفل الأغرار والأغمار وضلل الأخيار وتجنب الهمز واللمز، ولم يسع إلى تشويه السمعة والرأي وإسقاط المخالف والمنافس، وحاول بدلا من ذلك اقتناص نقاط الالتقاء والاتفاق وما أكثرها، والتمس الأعذار فيما شذ فيه وخالف غيره؛ لأن الهدف خدمة

(١) : بعد أن اطلع على منهجي في البحث وفهرسه، فأنكشف له أوجه الخلاف الجوهرية بين توجهي وتوجهه المتمثلة في رفضي دعواه بتوالي الإمارة وانتقالها بالوراثة بين أبناء أحد أجدادنا، وما دققته من نسبتنا إلى بني الأحمر نقلا عن شيخ الأسرة في المملكة الشيخ محمد صالح بن محمد بن الأمين الأنصاري وأخيه الدكتور محمد والشيخ أحمد بن عبد الله الأنصاري مستندا على روايته عن شيخه العالم والقاضي محمد المختار بن حود الأنصاري وغيره من الأدلة والقرائن التي أثبتتها في هذا البحث في موضعها .

عامة وليس ذاتية أو شخصية، أو هدف من خلال تباين الآراء للمدارسة
والمناقشة، لمصاحبة البحث وتكامل المعلومة.. لو كان فعله كذلك لما وجد غير
الإشادة والمباركة، لكنه درس جديد تعلمته من سلوكيات مرضى: انفصام
الشخصية، أو الشيزوفرينيا أو ما يسمى جنون العظمة.